يمكن ادراجها ضمن رؤيـة واحـدة.... [ولكـن] لايوجـد أيـة وسـيلة تجعلنـا نعتقد أن الفلسفة أو أي منهج تنظيري آخر يمكّننا من فعـل ذلـك. إنّ أقـرب شيء نستطيع فعله للجمع بين هذين المسعيين هـو أنّ نـرى إلى غايـة المجتمـع الحرّ و العـادل في السـماح لمواطنيـه بـأن يصبحـوا خـاصّين، "لاعقلانيـين"، وجماليين حسب الطريقة التي يرونها مناسبة طالما أنهـم يفعلـون ذلـك أثنـاء أوقاتهم الخاصّة ـ لايتسببون بأي أذىً يلحق بالآخرين ولايستهلكون مـوارد يحتاجها من هم أقلّ حظّاً.[٣٦]

ذلك أن الخطر الأكبر هنا، كمـا يـرى رورتـي، يكمـن في أنّ المفكّريـن ذوي النوايـا الحسـنة يرسمـون مخطّطـاتهم الطوباويـة ـ أو مشـاريعهم عـن الإصلاحات التنويرية ـ سعياً منهم للقبض على فانتازيا فردية خاصّة (شـبيهة بفكرة هابرماس عن "حالة الكلام المثالية") تهـدف إلى تجـاوز المنظـور المحـدّد للنظام الإجتمـاعي المعطـى، المليء دون شـكّ بـالعيوب، وتقلـل مـن أهميـة مستلزمات "التضامن" الإجتماعي مع أولئـك الذيـن يشـاطرون المـرء تقليـده الثقافي الخاصّ. والأفضل من ذلك ـ يعتقد رورتي ـ هو الإعـتراف بالطبيعـة الوهمية لكلّ هذه المشاريع النقدية، والإنخراط في المحادثة وفقـاً لأرضيـة محليـة عبر خطاب من القيم و المعتقدات الأمريكية المشتركة.

المشكلة في كلّ هذا ـ كمـا اقـترحتُ سـابقاً ـ هـي أنّ طرحـاً كهـذا لايقدّم أي فهمٍ للطريقة التي استطاع فيها الخطاب الجمـاعي أن يصـدّر حمّـى شعبية، وحماسةً صليبيـة مشـوبة بـروح عنصريـة مقيتـة شـكّلت ميـزة طاغيـة وخانقة لردود الفعل الأمريكية تجاه حرب الخليج. وبدقة أكبر، لايفشل طرح رورتي بشرح تلك الظواهر بقدر ما يجعلها تبدو وكأنهـا حتميـة، خاصّـةً إذا أخذنا بعين الإعتبار مطابقته للقيم الأمريكية ("برجوازية شمال أطلسـية") مـع ما هو "صالح عن طريق الإعتقاد" بالنسبة لأعضاء مجموعة ثقافية مناسبة. أمـا أين يفشل بشكل ذريع بإصابة هدفه هو عندما يرفض التسليم بوجـود بديـل محتمل، وطرق أخرى لانتقاد معتقدات الإجمـاع بسـبب طبيعتهـا الشـوفينية،